حَتَّى وَضَعْتُ يميني لا أُنازِعُهُ   فـي كَفِّ ذي نَقِمَات قيلُه القِيْلُ(١٢)

لَذاكَ أهيَبُ عندي إذ أُكلِّمُهُ   وقِيْلَ إنَّكَ مَسْبورٌ ومسئولُ

مِنْ ضَيغَمٍ من ضِراءِ الأُسْدِ مَخْدَرُهُ   ببطنَ عَثَّرَ غِيْلٌ دونَهُ غِيلُ(١٣)

يغدُو فيَلْحَمُ ضِرغامينِ عيشُهُمَا   لَحْمٌ من القوم مَعْفورٌ خَراديل(١٤)

إذا يُساوِرُ قِرناً لا يَحِلُّ لهُ   أنْ يتركَ القِرْنَ إلا وهو مفلولُ

مِنْهُ تَضَلُّ حَمِيْرُ الوحشِ ضامزةً   ولا تُمَشِّي بِواديه الأراجيل(١٥)

وَلا يَزَالُ بواديهِ أخو ثِقةٍ   مُطرَّح البَزِّ والدِّرْسانِ مأكولُ(١٦)

إن الرسولَّ لسيفٌ يُستضاء بِهِ   مهند من سُيوف الله مسلولُ

في عُصبةٍ من قُرَيشٍ قالَ قائِلُهُم   ببطن مكة لما أسلموا زُولوا

زالوا فما زال أنْكاسٌ ولا كُشُفٌ   عند اللقاء ولا مِيل معازيلُ(١٧)

شمٌّ العَرانين أبطالٌ لَبُوسُهُمُ   من نسْجِ داودَ في الهيجا سرابيلُ(١٨)

بيضٌ سوابِغُ قد شُكَّتْ لها حَلَقٌ   كأنَّها حَلَقُ القفعاءِ مجدول(١٩)

يمشون مشيَ الجِمَال الزُّهْرِ يعصِمُهُمْ   ضَرْبٌ إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنابيلُ(٢٠)

---

(١٢) أي وضعت يميني في يمينه وضع طاعة لا أنازعه، يعني أنه أسلم نفسه له وبايعه، وكان العرب إذا تحالفوا على شيء ضرب كل منهم على يمين صاحبه.

(١٣) محدره: مكانه. وعثَّر: موضع. والغيل: الغيضة.

(١٤) يلحم ضرغامين: يطعمهما اللحم. معفور: مطروح في التراب. وخراديل: مقطَّع

(١٥) الضامزة: الساكتة. والأراجيل: الرجالة.

(١٦) الدرسان: الثياب البالية.

(١٧) الكشف: الذين ينهزمون في الحرب ولا يثبتون. والميل: جمع الأميل: وهو الذي لا يثبت على السرج. والنِّكس: الضعيف.

(١٨) العرانين: الأنوف. والشمم: حدة في طرف الأنف.

(١٩) بيض سوابغ: يعني الدروع أنها سابغة ضافية فضفاضة.شكت: ادخل بعضها في بعض. القفعاء: شجر له ورق وثمر.

(٢٠) يعصمهم: يمنعهم. الزهر: البيض. عرد: فرَّ.

لا يَفْرَحـــون إذا نَالـــت رِمـــاحُهُمُ قَوْمـــاً ولَيْسُـــوا مَجَازيعـــاً إذا نِيْلُـــوا(٢١)

لا يَقَـــعُ الطعـــنُ إلا فـــي نُحُـــورِهُمُ ما إنْ لهم عن حِياض الموتِ تهليلُ(٢٢)

العصر الأموي(٦٠ هـ ١٣٢ هـ)

تأثر الأدب بالحياة الإسلامية الجديدة:

انتهى عصر النبوة والخلفاء الراشدين باغتيال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ووصول الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وخلفاء بني أمية، فانتهى بذلك عصر الغزوات النبوية وحروب الردة، وفتْح أكثر البلاد التي فتَحَها الإسلامُ، وخلَّف هذا العصر الإسلامي الأولُ في الأمة العربية صورةً من صُوَرِ الحياة تختلف عن صورة حياتها في جاهليتها فِكْراً ودِيْناً وسياسةً.

لقد تشكَّلت هذه الصورة الجديدة من الغرائز العربية مهذبة بامتزاجها بالروح الإسلامية، وبسطة السلطان على ممالك كسرى وقيصر، وتمثلت في مرآة الشعر والأراجيز والخُطَب والرسائل والعهود التي كانت تصدُرُ من رسول الله (ﷺ) وخلفائِه الراشدين، وقادة الغزاة والفاتحين متشبعةً كلُّها بروح الإسلام من الجد والوَقَار والحزم وتأييد الدين.

---

(٢١) يقول: ليس ذلك بأول نصر لهم حتى يفرحوا بما تنال رماحهم، ومع ذلك فهم صابرون إذا نكبوا.

(٢٢) لا ينهزمون فيقع الطعن في أدبارهم.

لقد قدَّمنا فيما سبق أن شعر المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام يمثِّل ما قيل منه في الإسلام الحياة العربية في أول ظهور الإسلام، أي زمنَ النبي (ﷺ) والخلفاء الراشدين.

أما شعرُ هذا العصر، أي عصر بني أُمية فإنَّه يمثِّل الحياةَ الإسلامية الخاضعةَ لسلطان الإسلام، والخالصة من شوائب الوثنية الجاهلية جُملةً، بعد أن طَرَأَ عليها طواريءُ سياسيةٌ واجتماعيةٌ ومذهبيةٌ تنوعت بها بعض الشيء عما كانت عليه في عصر النبي (ﷺ) وخلفائه في بلاد العرب نفسها، وفي المماليك المفتَّحة، فتنوَّع لذلك الشعر في بعض مواطنه فنا وأُسلوباً، ولكنَّه لم يخرُجْ في صورَتِهِ الجوهريَّة من حيثُ أوزانُه وقوافيه وطريقة قرضه عما كان عليه في الجاهلية وصَدْر الإسلام.

غير أنَّ الأراجيز عُنِيَ بها في عصر بني أُمية عناية جعلتها تقترب من القصائد في أكثر خصائصها، فبعد أن كان البدويُّ ينظم منها بضع مشطورات يحدو بها الإبل أو يصف ظبياً أو ظَيْلَماً أو ثوراً وحشٍ، نشأ في هذا العصر فحولٌ من الراجزين طوَّلوا الأراجيز ونحوا بها منحى القصائد، فضمنوها أغراضا من المدح والهجاء والفخر والرثاء، وصاروا يمهدون لهذه الأغراض بالنسيب وذكر الديار وآثارها والظعائن وحدوجها، ويقصدون بها الخلفاء والولاة، واشتهر منهم أبو النجم العجلي، والعجاج التميمي، وابنه رؤبة.

وفي هذا العصر طفر الشعر، رجزه وقريضه في سبيل التفنن فيه، والاهتمام في شأنه، والتكسب به طفرة لم يتقهقر عنها إلا بعد عدة قرون، وطالت قصائده وأراجيزه، وقلَّت عيوبُه في الأوزان والقوافي، وازدادت فنونُه، ودقَّت معانيه، ورقَّتْ أساليبُه وألفاظُه، في الغزل والنسيب والعتاب، دقةً لم تعهد فيه إلا نادرة في البيت والبيتين، والمقطعات الصغيرة، حتى صَلُحَ كثيرٌ منه في التغنِّي والتطرُّب به، ونبلت قيمتُهُ في أعين الخلفاء والولاة والأمراء ورؤساء الأحزاب السياسية، واتخذه كل منهم ذريعةً لترويج دعايته فكان عندهم بمنزلة صحف الأحزاب في عصرنا. واستتبع ذلك شأن الشاعر عند من يتولاهم واضطهاده ومطاردته من منافسيه.

ويمكن إجمال التي امتاز بها الشعر في هذا العصر من حيث موضوعاته وأسلوبه بما يأتي:

المديح:

وهو من أغراض الشعر منذ الجاهلية الأولى، إلا أنه لم يصر طريقا للتكسب والمسألة به إلا في أواخرها، ولما جاء الإسلام ترخص النبي(ﷺ) في استماعه والإجازة عليه تأييدا لدعوته؛ إذ كان جل ما يمدح به خاصًّاً بعمل الرسالة، ولكنه (ﷺ) نهى عن سماع المدح لمجرد الإطراء والتقريض في غير تأييد حق، وتورَّع خلفاؤه الراشدون عن سماع المدح الباطل، ففترت صناعة التكسب بالشعر ردحا من الزمان.

وجاء عصر بني أمية فترخص بعض الخلفاء باستماعه لتأييد دعوتهم، فاستمعوا له في حق وفي غير حق، وجازوا عليه الجوائزَ السنيَّةَ، ولم يقصِّر عنهم كثيرٌ من ولاتهم ورؤساء الأحزاب في زمانهم، وتسابَقَ الشعراءُ في اختراع المعاني التي تُعجِبُ أولياء الأمر، فكالوا لكل من لا يستحقُّ مما كان قدره لمن جاء بعدهم غلاة المداحين.

الهجاء:

وكان الشأن في الهجاء في بداية الإسلام عندما رخَّص النبي (ﷺ) لحسان في هجاء المشركين، ولم يجِزْه في غيرهم، بل أوجبت الشريعةُ إقامةَ الحد على من قَذَفَ محصَناً أو مُحْصَنةً، وجرى أصحابُه من بعدِهِ على سنَّتِهِ؛ فحبس عمرُ بنُ الخطَّاب الحطيئَةَ في الهجاء حتى تاب، ولكن في العصر الأموي نمت سوقُ الهجاء، فهجا الأخطلُ الأنصارَ، ثم هجا القيسيين وبعضَ قبائل العرب، وعلى أية حال فقد صار العرب في هذا العهد في الهجاء إلى شرٍّ مما كانوا عليه في الجاهلية، ولو كانت الدولة الأموية تصعَّبت في العقاب عليه لحفِظَت الآدابَ الإسلاميَّةَ عن فُحْش القول دهراً طويلاً.

الفخرُ:

أباح الإسلام الفخر في التحدث بنعمة الله والانتصار على المشركين، والتمجيد بالفضائل الإسلامية، فتغيَّرت الحال في عصر بني أمية، وتفاخَرَ الشعراءُ بأيَّامهم الجاهلية التي نهى عنها الإسلام، وتباهَوا بأعمال سفهائهم من المسرفين في الكرم، وغير ذلك، ولكن العلماء يرون أن هذا النوع حفظ للتاريخ وقائع العرب في الجاهلية، ولولاه لنسيت.

ونظرا لكثرة الطوائف والأحزاب في العصر الأموي، فقد ساعد هذا على انتشار فن الفخر، فكل طائفةٍ أو حزْبٍ يفخرون بأصلهم ومآثرهم، ويحاولون الشموخَ بها على غيرهم من الطوائِفِ والأحزابِ والقبائِلِ.

الغزلُ الصريحُ القصصيُّ، والغَزَلُ العفيفُ البدويُّ:

فأما **الأول:** فنشأ بمكة والمدينة بين المُتْرَفين من أبناء المهاجرين والأنصار، وأبناء الغزاة الفاتحين الذين امتلأت أيديهم بالأموالِ والنعمةِ وأقامُوا بمكَّةَ والمدينة لأسباب سياسية وغير سياسية ينعمون ويطربون. وكان لهم بطانة من الشعراء والمغنين والمغنيات والمضحكين، وقلَّما يُعْجِب هؤلاء من الشعر غير الغزل الذي يُطرَب ويُغنَّى به، واشتهر من شعر هؤلاء الأحوص من الأنصار، وعمر بن أبي ربيعة من قريش؛ ولكن عمر أصرح من الأحوص في الغزل؛ يذكر أسماء من يشبب بهنَّ ويذكر قصصا له معهن أكثرها مكذوب مفترى.

وأما **الثاني** فنشأ في بادية الحجاز في بني عُذْرَة وخزاعة بين الشبان المستضعفين المؤثرين التبدِّي على الهجرة والجهاد غزلاً شريفاً نزيهاً عن الفُحش وعن الكَذِب على الحِسان بما لا يليق بشرف الفتاة البدوية المسلمة، لكنَّ أكثرَ حبِّهم كان حقيقيَّاً غيرَ